

الرسالة

قال ابن القيم : " وَاللَّذِينَ يُتَدَوَّفُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (234) " [البقرة] .

فذكر ابن القيم أنَّ على المتدوِّف أنَّ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَمْ يَذْكُرْ شَيْئًا تَجْتَنِبُهُ فِي الْعِدَّةِ .

قال : فكان ظاهرُ الآية أنَّ تُمْسِكَ المَعْتَدَّةُ في الْعِدَّةِ عَنِ الْأَزْوَاجِ فَقَطُّ مع إقامتها في بَيْتِهَا - : بِالْكِتَابِ .

وكانتْ تَحْتَمِلُ أَنْ تُمْسِكَ عَنِ الْأَزْوَاجِ وَأَنْ يَكُونَ عَلَيْهَا فِي الْإِمْسَاكِ عَنِ الْأَزْوَاجِ إِمْسَاكٌ عَنْ غَيْرِهِ مِمَّا كَانَ مُبَاحًا لَهَا قَبْلَ الْعِدَّةِ مِنْ طَيْبٍ وَزَيْنَةٍ . [ص 210] فَلَمَّا سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى الْمُعْتَدَّةِ مِنَ الْوَفَاةِ الْإِمْسَاكِ عَنِ الطَّيِّبِ وَغَيْرِهِ كَانَ عَلَيْهَا الْإِمْسَاكُ عَنِ الطَّيِّبِ وَغَيْرِهِ بِغَيْرِ رُضِ السُّنَّةِ وَالْإِمْسَاكِ عَنِ الْأَزْوَاجِ وَالسُّكُونِ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا بِالْكِتَابِ ثُمَّ السُّنَّةُ .

واحتملتْ السُّنَّةُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ مَا احْتَمَلَتْ فِي غَيْرِهِ : مِنْ أَنْ تَكُونَ السُّنَّةُ بِبَيْتِهَا عَنِ الْكَفِّهِمْ إِمْسَاكُهَا كَمَا بِبَيْتِهَا الصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ وَالْحَجُّ وَاحْتَمَلَتْ أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ سَنَّ فِيهَا لَيْسَ فِيهِ نَصٌّ حُكْمٌ لِلَّهِ .